# لو كان في قدرة الإسرائيليين استخلاص العبر من علاء أبو علبة

سارع أكثر من مسؤول إسرائيلي كالعادة إلى تحميل السلطة الوطنية الفلسطينية المسؤولية عن عملية قام بها فرد فلسطيني واحد في منطقة يازور قرب يافا. ولم يعترف إلا القليلون بأن علاء أبو علبة، ابن الخمسة وثلاثين عاماً، والأب لخمسة أطفال، والسائق العامل داخل الخط الأخضر منذ خمس سنوات لدى شركة باصات ايجد الإسرائيلية، والذي تبين أنه بات ليلته السابقة على العملية داخل الخط الأخضر، لا يمكن أن يكون قد فعلها بوحي من أحد ولا تدبير من أحد. وهكذا وجدنا الأكثرية تصر على أن العملية مدبرة، وقال شارون بأسلوبه المعروف في المكابرة الابتزازية : ان عرفات لم يفعل شيئاً لمكافحة الإرهاب!. وتداول المعلقون الإسرائيليون الحديث عن إجراءات الأمن التي سمحت لعربي أن يفعل فعلته بهذه البساطة، وراحوا يتحدثون بالتفصيل عن الثغرات في احتياطات الأمن ويقولون إن كل فلسطيني ينطوي على قاتل مخرب.

نعم، تداول الإسرائيليون جميع أنواع التعليقات واتهموا عنصر الانسان الفلسطيني بجميع الاتهامات، وانتقدوا قصور ما يسمونه تدابير الأمن لكونها غير جامعة وغير مانعة. ولكن لم ينبس أحد منهم ببنت شفة حتى أولئك الذين أقروا أنها عملية فردية تماما غير مدبرة من قبل أحد سوى فاعلها نفسه عن الأسباب المحتملة وراء قيام رجل له هذه الذات والصفات، ولدى الأجهزة السرية الإسرائيلية عنه ما يكفي من المعلومات والضمانات، وكلها تشير إلى خلو صحيفته من أية شبهة انتماء إلى أي تنظيم فلسطيني، وإلا لما جددوا تصريح عمله الدوري داخل إسرائيل.

لم يقل معلق واحد من المعلقين، ولا مسؤول من المسؤولين إن عملية علاء أبو علبة ضد الجنود في يازور، سبقها يومان وليلتان من القصف الجنوني المكثف لمدينة خانيونس بالأعيرة الثقيلة من الرشاشات وقذائف غاز الأعصاب التي تؤدي إلى التشنج والهستيريا وتشويه إنسانية الإنسان.. وسبقتها شهور عديدة من ممارسات الجنود يومياً إطلاق النار على صدور الفلسطينيين وقلوب الفلسطينيين وعيون تلاميذ المدارس الفلسطينيين، بوتيرة متواصلة وعنف متصاعد، ناهيك عن هدم الدور وتجريف الأشجار والمصانع والآبار والدفيئات الزراعية وتحويل العمران إلى صحراء قاحلة ثم بعد ذلك كله التحدث عن العنف الفلسطيني وشتم الكرامة الفلسطينية والإنسان الفلسطيني.

ولم يتكلم المعلقون الإسرائيليون عن الوحش الذي أطلقه باراك عمداً داخل قلوب العساكر الإسرائيليين بعدما زودهم بأحدث أسلحة الدمار وأصدر اليهم الأوامر المطلقة بأن لا يتوانوا عن استخدام السلاح كلما بدا لهم ذلك.

ولم يتكلم المعلقون الإسرائيليون عن القصف الإسرائيلي الليلي الذي يقوم به الجيش والمستوطنون لمدينة الخليل، ويفتعلون له الأسباب، بغرض ترحيل أهل المدينة عن المدينة.

ولم يتكلم المعلقون الإسرائيليون عن شيء من فنون الأذى والإهانات التي يتعمد أفراد الجيش على الحواجز المقامة بين المدينة الفلسطينية والأخرى إلحاقها بالفلسطينيين المارين.

ألم يخطر ببالهم في إسرائيل، أن هذه الأمور كلها أسباب محتملة لانقلاب الرجل المسالم المعتاد على التعايش والمستشعر مسؤولية أطفاله الخمسة الى كتلة من الأعصاب الملتهبة والعاصفة المدمرة التي تقتل بلا هوادة وتندفع بلا تردد؟

**الأخبار تروي أن سائقي الجرافات الضخمة الإسرائيليين المكلفين بتجريف المناطق والأحياء الفلسطينية، يداهمون في الليل بيوتاً آهلة بسكانها النيام ولا يبالون حتى بإنذار أصحابها قبل أن يشرعوا في تقويض حوائطها وهدمها عن آخرها. وهؤلاء السائقون الذين يحملون هذا الحقد كله، ويجلسون في أعلى مركباتهم الضخمة الجبارة فيحولون بدعسة من قدمهم كل شيء حي حولهم الى أنقاض دفينة تحت الأرض، لم يتوقفوا منذ خمسة شهور عن فعل ذلك، متقدمين يوماً بعد يوم نحو مساحات عمرانية وزراعية جديدة مؤشر عليها بقلم باراك (اجعلوها صحراء).**

**ألم يخطر ببالهم في إسرائيل، أن من المحتمل أن علاء أبو علبة قد عرف ما عرف عن السائقين الحاقدين الذين يجلسون في أعلى مركباتهم الضخمة الجبارة ويجتاحون الحياة والأحياء في بلاده وبين أبناء شعبه، وقد وجد في ذلك سبباً للقيام بتصرف مشابه حين اجتاح الجنود الذين يفعلون ذلك كله ويرمزون إلى ذلك كله؟**

**ألم يخطر ببالهم أن علاء أبو علبة الذي هاجرت أسرته عام ١٩٤٨ من قرية بيت جرجا ولجأت الى غزة، لم يهضم يوماً فكرة أن تكون قرية بيت جرجا حراماً على أهلها حلالاً للقادمين اليهود حتى من أعماق الحبشة؟**

**سيكون من العمى المطبق أن لا تخطر أمور كهذه في بال المسؤولين الإسرائيليين. أما إذا كان تعامياً وتجاهلاً، فانه الغباء الاستراتيجي بذاته.وعلى الإسرائيليين الذين طالما تحدثوا بعد كل حادث عن ((استخلاص العبر)) أن لا يحصروا استخلاصاتهم في وجوب تشديد المسائل الإجرائية والتدابير التي يطلقون عليها (الأمنية)، وفي وجوب شراء مزيد من وسائل الإنذار المبكر والآلات الاستخبارية المعقدة، وفي وجوب إخفاء الحقائق عن العالم الخارجي، مع تشويه صورة الفلسطينيين كأنهم أصل الشرور في العالم.**

**لم تنفع الإسرائيليين طوال سنوات الصراع محاولاتهم التعمية على أنفسهم وعلى العالم، بافتعالهم تصورات زائفة مفبركة عن دوافع الفلسطينيين للتمسك بحقوقهم وكيانهم الوطني. فالدعاية الإسرائيلية تردد باستمرار عدداً من الأكاذيب القائلة تارة إن الدول العربية وتارة أخرى إن منظمة التحرير هي التي (تحرض) الشعب العربي الفلسطيني على التمسك بحقوقه.. يا سبحان الله..! هل الشعب العربي فاقد الذاكرة حتى يحتاج الى (تحريض) ليدافع عن حقوقه ويأبى الاستسلام؟ والدعاية الإسرائيلية في سياق تضليلها اليهود قبل غيرهم، لا تكتفي بالقول إن حركة نضال الشعب العربي الفلسطيني مفتعلة بواسطة التحريض، بل تعمد الى حملات التشويه الأسود بقولها إن من يضحي في سبيل وطنه من الفلسطينيين هو بالضرورة عميل مستأجر بالمال.**

**لقد عرف القادة الإسرائيليون الحقيقة التي يمارون فيها معرفة جيدة ولكنهم دأبوا على المكابرة وترديد الأكاذيب. فالشعب العربي الفلسطيني هو الذي يعلم قادته وزعماءه الوطنية والفداء ويسبقهم إلى مواطن التضحيات.**

**وما علاء أبو علبة إلا فلسطيني بسيط، طبيعي، وديع، وقد اندفع في لحظة لم يعد يسيطر فيها على نفسه، بعدما أثاره البغي والعدوان ولم تتوقف الأفعال الاجرامية ضد مواطنيه الأبرياء. فلم تعد له طاقة على الاحتمال.**

**وعلى الإسرائيليين أن يحسنوا لأنفسهم بتوجيه السؤال الحقيقي الى أنفسهم " ألا تجلب سياساتنا وجرائمنا بحق الآخرين سخط هؤلاء واحتدامهم واعتزامهم أن يردوا لنا الصاع متى استطاعوا "؟**

**فهذه العبرة هي أولى العبر التي ينبغي أن تعقب عملية علاء أبو علبة. واذا كان لدى الإسرائيليين بعد ذلك شجاعة للتخيل وللاستخلاص فعليهم أن يكملوا ما بدؤوه بتوجيه سؤال آخر ((هل تستطيع الإجراءات الأمنية المشددة والمدروسة والمزودة بأحدث التقنيات أن تمنع الفلسطينيين أهل البلاد من استنباط وسيلة ما، في أي وقت، لتوجيه ضربات موجعة لنا كما وجهنا لهم؟ وأينا الأكثر تحملاً في نهاية المطاف؟ وهل بوسعنا أن نحتفظ بالتفوق إزاء ملايين العرب والمسلمين في المنطقة إلى ما لا نهاية؟))**

**على الإسرائيليين أن يحسنوا لأنفسهم، وإلا فقد أساؤوا لها!**

**<u>ما هي المواصي؟</u>**

**روى أحد المشاركين القدامى في المفاوضات التي أعقبت الاتفاق الانتقالي وجرت فيها عملية انتقال السلطة من الاحتلال إلى القيادة الفلسطينية، قصة مؤسفة عن أحد كبار المفاوضين من الجانب الفلسطيني. فقال والكلام على ذمة الراوي أن جدول أعمال أحد الاجتماعات كان يتضمن موضوع (المواصي).**

**وبسبب جهل المفاوض الكبير بما هي المواصي فقد أخرج قلمه وصحح على الورق أمامه الكلمة المكتوبة التي حسبها غلطة مطبعية فكتب (االنواصي) بدل (المواصي) ثم تطوع البعض وشرحوا له المقصود.**

**ومنعاً للالتباس، خاصة وأن أحدهم كتب مقالاً قبل بضعة أيام عما أسماه (قرية المواصي) نقول : ان المواصي ومفردها ماصية عبارة عن قطع غير متصلة من أراض طينية منخفضة وسط الرمال، الموازية للشاطئ الجنوبي لقطاع غزة (بين الجنوب الغربي لدير البلح والجنوب الغربي لرفح)، وتقع غالباً على بعد عشرات أمتار معدودة من الشاطئ. وتتميز تربتها الطينية بالخصوبة وعذوبة المياه الجوفية القريبة من السطح. وتجود فيها جميع المزروعات، ولا مثيل لفاكهة الجوافة التي اشتهرت بها، وقد نجحت فيها زراعة المانجا والعديد من الفواكه الأخرى.**

**والمنطقة تشتمل على أكبر حوض للمخزون المائي الجوفي العذب في قطاع غزة. ولذلك استولى عليها الإسرائيليون وأقاموا فيها من الشمال إلى الجنوب سلسلة مستعمرات تقارب ثلاث عشرة مستعمرة تصل بينها شبكة من الطرق.**

**والمواصي تعد ثروة زراعية أساسية في جنوب القطاع وقد عمرها أصحابها منذ مئات السنين، وتقطنها عائلات تعمل في الزراعة وصيد الأسماك. ولكن المغتصبين الإسرائيليين عمدوا إلى التضييق عليهم وتقييد حركتهم ومنعهم من البناء في أراضيهم، كما زحفوا على مناطقهم وهدموا العديد من بيوتهم وجرفوا مزارعهم في محاولة مستمرة لإجبارهم على الرحيل.**

**لقطات الأسبوع**

**=======**

- الأعداء أذكى من أن يستخدموا في حربهم الإعلامية ضدنا أسلوباً مباشراً، لأنهم يعلمون أن نسبة المتعلمين في ازدياد، وأن ما يناسب هؤلاء هو الأسلوب المغلف بغلاف الموضوعية والصدق والحياد. وعند ذلك يجري دس المادة السامة على المدى البعيد في دسم الموضوعية.
- قرأت مقالة مترجمة عن صحيفة أمريكية لدينيس روس يتظاهر فيها بالموضوعية والتوازن. وما هو الا أسلوب لكسب القراء في أمريكا، ودس ما يشاء من الدعاية الصهيونية من خلال ذلك. فهذا هو الدور الذي حدده لنفسه في خدمة أهدافه بعدما انتهى دوره في وزارة الخارجية الأمريكية.
- في الديمقراطيات يسمحون للسجين أن يخرج من السجن في أوقات معينة، ثم يعود إليه لقضاء بقية فترة عقوبته كما يسمحون للسجين بالحصول على الجرائد طبعاً.
- أما الديمقراطية الإسرائيلية فأغلقت على أهالي قطاع غزة جميع المعابر في سجنهم الكبير، وحرمتهم من وصول الصحف من الضفة اليهم.
- لم نسمع أحداً من حزب العمل يصف فعلة باراك (الذي تآمر مع شارون) وصفها الصحيح : وهو أنها انقلاب بمعنى الكلمة قام به جنرالان انقلابيان عبر اخراج سياسي وعسكري للوصول الى حكومة انقلاب ذات قشرة ديمقراطية سميكة بغرض واحد وهو إلغاء جميع الاتفاقات السابقة مع الفلسطينيين (ولاحقاً مع العرب الآخرين) وإرجاع الأمور الى نقطة الصفر! واعادة عسكرة المجتمع الإسرائيلي.
- كان شاغل ملوك الطوائف الملتصقين بعروشهم وقصورهم في زمن انحطاط الأندلس أن يعقد كل منهم اتفاقيته الخاصة مع الفرنجة ذوي السطوة، مسترضيا مملكتهم المتربصة بالجميع بدفع الإتاوة المفروضة عليه. وكان أهون على الواحد منهم أن يتحمل ذل الإتاوة والاستخذاء للغرباء من أن يضع يده في يد أخيه فكان محتوماً في النهاية أن تنهار الكيانات المنخورة كلها وتحل المأساة بشعوبها المظلومة، لأن الفتنة لا تصيب الذين ظلموا خاصة!
- قال الشاعر :

ما حاجة الشرق الى جند وأبطال

حاجته القصوى الى فطنة زبال

- يستمع المرء الى كل من هب ودب ينتقد الواقع السيء ويهاجم السيئين. فمن هم يا ترى السيئون؟ أهي الأغلبية الصامتة؟
- لا يقل أحد من الأحياء انه صنع تاريخاً. فانما الشهداء وحدهم صناع التاريخ الفلسطيني.
- هل يجوز للآباء أن تكون تكلفة حاضرهم هي مستقبل أبنائهم؟
- لسان حال شارون وباراك : لا تقل لي (يمين ويسار) ولكن (عرب ويهود).
- لا يمكن فهم العلاقات الحميمة المستغربة بين بعض الناس الا اذا عللتها بوحدة (المعلم).
- هل الغارات الجوية الأمريكية البريطانية على بغداد مجرد لطمة كبيرة على وجه.. الاتفاقات الاقتصادية التي جرت مؤخراً بين العراق والدول العربية الأخرى؟ أم أنها حركة التفاف أمريكية على واسطة عقد محور ايراني عراقي كان من المتوقع أن يتشكل بصمت لمساندة سوريا في حال تعرضها لغزو شارون؟
- من يصدق أن بين بعض عشائر مجتمعنا من لا يزالون يتشددون في المنازعات والثارات العائلية كأن المجتمع لا يتعرض بأسره لعدوان الاحتلال اليومي الذي لا يستثني أحد اً.
- ما أفظع جريمة أمريكا وبريطانيا : لحم أكتاف اقتصادياتهم من الثروات العربية المنهوبة.. وتعاملان العرب معاملة العبيد المحتقرين. ومع ذلك : فاللوم لا يقع عليهما وحدهما، وانما على الذين رضوا أن يكونوا عبيداً محتقرين.. مأكولين مذمومين كما يقول المثل.
- عزيزنا السيد عمرو موسى : نحن أحببناك وزيراً لخارجية مصر. فهل سنحبك أميناً للجامعة العربية؟

- **ما هذا الزمان الذي تبادر فيه روسيا وتركيا والهند وباكستان الى شجب الغارات الجوية على العراق، قبل أن ينطق لسان عربي بكلمة احتجاج؟**
- **بقايا الفالاشا في الحبشة أحرقوا بيوتهم وقراهم واجتمعوا في انتظار تهجيرهم الى اسرائيل. هل سيقوم النميري ثانية بالسمسرة في الصفقة ويعود للاجتماع بشارون من أجل ذلك مثلما حدث من قبل؟ أم هناك جيل جديد من السماسرة الآن؟**
- **كم من ملفات حفظت لأنها وصلت الى حقائق محرجة.**
- **كل انسان ميسر لما خلق له. ولكن بعض الناس لا يعرفون ما خلقوا له.**
- **مهما كان الرأي في الشيوعية فلا شك أن هناك فرقاً بين شيوعي عقائدي ذي رسالة، وبين مريض نفسي بالحسد ينتحل لنفسه زوراً وصف العقائدي المر.**
- **لم نستغرب منذ البداية اشتراك باراك مع شارون في انقلابهما على الحياة السياسية الطبيعية وعلى فريق كبير من قيادات حزب العمل. ولكننا استغربنا للوهلة الأولى اشتراك بيرس، ثم تذكرنا أنه بدوره من الفصيلة ذاتها.**